قرينة الربط فى التركيب القرآنى

ذكرنا من قبل أن للجملة العربية نمطا وأن نمط الجملة الاسمية يتكون من مبتدأ وخبر ونمط الجملة الفعلية من فعل ومرفوعه ونود أن نضيف هنا أن شرط الجملة العربية أن تكون مفيدة لان السعى إلى الإفادة هو سبب الاتصال اللغوى وحصول الفائدة نتيجته. من هنا كان من الضرورى لنمط الجملة أن يشتمل على قرائن تؤدى إلى الحفاظ على المعنى. ولو أن الجملة العربية قنعت بالاشتمال على ركنيها دون غيرها من الفضلات لهان الأمر ولكان يكفى أن نعلم أن الكلام يدور حول المبتدأ بواسطة الخبر أو حول المرفوع بعد الفعل بالفعل الذى بنى له. ولكن الجملة قد تطول أحيانا وقد يعطف عليها مثلها أو أمثالها فيكون بين أول الكلام وآخره شقة بعيدة لا تعى الذاكرة معها ما الذى ينتمى إلى هذا وما الذى ينتمى إلى ذاك وهكذا تتفكك أواصر الكلام ويدخل المعنى فى غيابات الغموض أو فى متاهات اللبس وكلا الغموض واللبس آفة من آفات الاتصال والتفاهم. هب أنك قرأت رتلا من الألفاظ مثل: «فَحَمد فى الناس خطيبًا عليه وأثنى قال الله زيد ثم قام» فأول ما يخطر ببالك أن هذا القول لا معنى له. فإذا وضعت هذه المفردات نفسها مرتبة ترتيبًا آخر معينا اتضح أنها تدل على معنى وذلك إذا قلت: «قام زيد فى الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال» فما سبب تحقق الافادة فى المثال الثانى وانعدامها فى المثال الأول؟ السبب مع النظر إلى المثال الأول كما يلى:

١ ـ تشويش رتبة «زيد» و«قام» والفصل بينهما بحرف العطف «ثم» فى المثال الأول وتصحيح ذلك فى الثانى.

٢ ـ تقدم الجار والمجرور «فى الناس» عن متعلقه «قام» وملاحقته للفعل «حمد»

حتى لقد يظن القارىء أن الجار والمجرور متعلق بالفعل «حمد» وذلك لا معنى له لأن الضمير المستتر فى «حمد» ليس له مرجع فهو غير واضح الدلالة.

٣ ـ أن لفظ «خطيبا» يبدو كما لو كان مفعولا به للفعل «حمد» وهذا غير معناه فى الجملة المفيدة التى فى المثال الثانى.

٤ ـ أن الجار والمجرور «عليه» بدا كما لو كان متعلقا بلفظ «خطيبا» وهو غير مراد.

٥ ـ أن الفعل «أثنى» وإن رآه القارىء معطوفا على «حمد» ما يزال يتحمل ضميرا مستترا غامض المرجع.

٦ ـ أن «قال» ربما ظُن بدلا من «أثنى» وهو غير ذلك.

٧ ـ يبدو لفظ الجلالة كما لو كان فاعل «قال» مع أن القائل هو زيد.

٨ ـ لا وجه لرفع زيد بعد لفظ الجلالة فى المثال الأول.

٩ ـ جاءت «ثم» لتعطف قام ولكن لا يدرى ما المعطوف عليه.

١٠ ـ ما تزال قام تحمل ضميرا بلا مرجع شأنها شأن بقية أفعال المثال.

فإذا نظرنا إلى المثال الثانى وجدنا المفردات قد رتبت بحسب الأصول المرعية فى تركيب النمط ووجدنا هذه المفردات مترابطة واضحة الانتماء بحيث نعلم الفاعل لأى فعل هو والجار والمجرور لأى متعلق والضمير لأى مرجع وهكذا، مما يعبر عنه بعبارة «العلاقة السياقية». هذه العلاقات معروفة محصورة العدد لأنها ذات أسماء تدل عليها كالإسناد والتعدية والغائية والمصاحبة والأخراج والتفسير والتبعية والملابسة إلخ، وهى التى إما أن تتحقق فى السياق وإما أن يقع السياق فى الفوضى التى رأيناها فى المثال الأول.

من هذه العلاقات علاقة الربط ووظيفتها إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التى تعين على الوصول إلى هذه الغاية والأصل فى الربط أن يكون بإعادة اللفظ لأنها أدعى للتذكير وأقوي ضمانا للوصول إليه. ويحدث فى الكثير من الربط فى القرآن الكريم أن يكون باعادة اللفظ كما فى الشواهد التالية:

١ ـ ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ (التوبة ٦٧، ٦٨) لاحظ تكرار «المنافقين والمنافقات» بعد طول الشقة بدلا من أن يقول «وعدهم».

٢ ـ ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ (التوبة ٧١، ٧٢) لاحظ أيضا تكرار «المؤمنين والمؤمنات» بعد طول الشقة بدلا من وعدهم ثم تكرار لفظ الجلالة لتأكيد الربط.

٣ ـ ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (النحل ١١٦)

ذكر الكذب ثلاث مرات بدلا من «لتفتروه» و«يفترونه».

٤ ـ ﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ (طه ١٠) تكرر ذكر النار بدلا من «عليها».

٥ ـ ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء ٦٦، ٦٧) تكرر ذكر لفظ الجلالة بدلا من أن يقول «من دونه».

٦ ـ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ

لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ (الفرقان ٢١، ٢٢) تكرر ذكر الملائكة بدلا من «يوم يرونهم».

٧ ـ ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ﴾ (العنكبوت ١٩، ٢٠) أعيد ذكر لفظ الجلالة بدلا من «ثم هو». و«إنَّه.

٨ ـ ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلايَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء ٦٦، ٦٧) أعيد قوله: «تعبدون من دون الله».

٩ ـ ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِين ﴾ (الزمر ٥١) أعيد ذكر «سيئات ما كسبوا».

١٠ ـ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (فصلت ٢٦، ٢٧) أعيد لفظ «الذين كفروا»

وقد تكون اعادة الذكر لسبب فرعى يضاف إلى الربط كإرادة تأكيد الربط كما فى قوله تعالى:

١١ ـ ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُون ﴾ (آل عمران ٧٨) لاحظ تكرار الكتاب ولفظ الجلالة مع تقارب المسافة وإمكان استعمال الضمير.

١٢ ـ ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (يونس ٤٩) أعيد لفظ الأجل لتأكيد الربط.

١٣ ـ ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ (الإسراء ١٠٥) أعيد ذكر الحق.

١٤ ـ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (الروم ٥٦) لاحظ تكرار «يوم البعث».

١٥ ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ (الفتح ١٧) أعيد ذكر الحرج وكان يمكن حذفه أو الاضمار له.

وقد يكون ذلك لأمن اللبس كما فى قوله تعالى:

١٦ ـ ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة ٣٨) فلو أن ضميرًا وضع موضع ثانى لفظَى الجلالة لبدا أن الجملة حالية ولكان المعنى أن كسبهما النكال ارتبط بحال عزة الله وحكمته تعالى الله عن تغير الأحوال.

١٧ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال ٣٦) فلو قيل وهم إلى جهنم يحشرون لكان كونهم مغلوبين ملابسا لحشر هم إلى جهنم على معنى الحال.

١٨ ـ ﴿ وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ (المجادلة ١) فلو قيل وهو يسمع تحاور كما لكانت حالا ولكن معنى الاستئناف فى الآية أوضح وأنسب لتنزيه الله تعالى عن التلبس باللحظة.

وقد تكون إعادة الذكر لاختلاف مدلول المذكور الأول عن الثانى كما فى قوله تعالى:

١٩ ـ ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران ٢٦)

فالملك الأول معطى والثانى منزوع والثالث ملكوت الله فلو أُضمر لأحدها ما عاد الضمير على ما سبق وكذلك تختلف دلالة «من تشاء» بين مَلِكٍ متسلط ومملك مخلوع وبين عزيز وذليل.

٢٠ ـ ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاقِهِمْ ﴾ (التوبة ٦٩).

الخلاقان الأول والثالث غير الخلاق الثانى.

وقد يغنى عن إعادة اللفظ إعادة المعنى، وذلك واضح فى باب المبتدأ والخبر، كما فى قوله تعالى: ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (يونس ١٠) وكذلك قوله: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ ﴾ (إبراهيم ٢٣) وقوله: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ ﴾ (الأحزاب٤٤)، وإنما صلح ذلك لربط الخبر بالمتبدأ لأن الخبر هو عين المبتدأ فى المعنى فلما كان السلام هو التحية وكانت التحية هى السلام عدّ ذلك قريبا فى أهميته من إعادة الذكر فصلح لربط الخبر بالمبتدأ.

وثمة نوع من إعادة الذكر لانعاش الذاكرة أيضا وهو ما يعرف بالتكرار أو إعادة ذكر صدر الكلام بعد أن حال بينه وبين ما يتعلق به فاصل طويل من الكلام جعله مظنة النسيان أو ضعف العلاقة بما يتبعه من خبر أو فاعل أو جواب، فإذا أعيد صدر الكلام إلى الذاكرة اتضحت العلاقة بما يليه وينتمى إليه. ومن شواهد هذا التكرار بنيّة الربط قوله تعالى:

١ ـ ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة٨٩) حين طال الفاصل بين «لما جاءهم » وجوابها تكررت لتقوية الارتباط بالجواب.

٢ ـ ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ

﴿ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (البقرة ٢٥٣) تكررت عبارة «ولو شاء الله» لسببين:

أ ـ لتوقى توالى استدراكين بـ «لكن» لايدرى ارتباط ثانيهما بعناصر الجملة.

ب ـ لإرادة التذكير بصدر الآية بعد أن بعد به العهد فى الكلام.

٣ ـ ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (الأعراف ١٤٨) لو عطف قوله: «وكانوا» ظالمين على «اتخذ» التى فى صدر الآية ما أدرك السامع ولا القارىء العلاقة بين المتعاطفين، وبخاصة بعد الجملة المعترضة «ألم يروا».

٤ ـ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (يونس ٥٩) لاحظ تكرار «قل» ضمانا لإفهام أن ما بعد «الأمر» الثانى مطلوب قوله وبخاصة لعدم اشتمال هذا الجزء من الآية على ضمير يعود على ماقبل الفعل ليربط الجزئين كأن يقال مثلا: «الله أذن لكم به» وهكذا أغنى التكرار عن الضمير الرابط.

٥ ـ ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل ١١٠) لاحظ تكرار «إن ربك» وكذلك إعادة عبارة «من بعدما فتنوا» على صورة «من بعدها» أي بعد الفتنةوقد جاء التكرار لطول الفاصل بين إن وخبرها المقترن باللام. ومثله فى السورة نفسها قوله تعالى:

٦ ـ ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيم ﴾ (النحل ١١٩) أى بعد الجهالة.

٧ ـ ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ ﴾ (النور ٣٦، ٣٧)

تكرر حرف الجر «فى» ومجروره ثلاث مرات هى: فى بيوت ـ يذكر فيها ـ يسبح له فيها. وتظهر ضرورة التكرار عند تصور عدمه لأن الرابطة تضعف عندئذ بين عناصر الكلام.

٨ ـ ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً ﴿٢٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ (الفرقان ٢٥، ٢٦) تكرر لفظ اليوم مضافا إلى «إذ» فاصلا بين مبتدأ الجملة الأخيرة وخبرها ولولا تكراره ماوضح الربط بين عناصر الكلام.

٩ ـ ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ (القصص ١٥ ـ ١٧) لاحظ تكرار الفعل «قال» لسببين:

أ ـ أختلاف مناجاته لنفسه وخطابه لربه جعل «قال» الثانية ضرورية لأن الانتقال من هذا إلى ذلك لايصلح لأن يفسر بالالنفاق ولابغيره وإذ لم يكن بد من نداء ربه قبل خطابه فلو لم تأت «قال» الثانية لجعل ما قبلها من كلام كأنه خطاب لله وليس نجوى للنفس.

ب ـ ثم فصلت جملتان معترضتان بين ندائه لربه أولا وندائه له ثانيا وهما «فغفر له إنه هو الغفور الرحيم فأصبح تكرار قال الثالثة أمرا ضروريا لاستقامة الكلام.

١٠ ـ ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الواقعة ٨٣ ـ ٨٧) تكررت «لولا» المفيدة للتحضيض لطول الشقة بينها وبين مدخولها لأن أصل التركيب «لولا ترجعونها» ثم فصلت بين لولا ومدخولها جملتان شرطيتان محذوفتا الأجوبة لدلالة مدخول لولا على جوابيهما الأولى هى التى تبدأ بـ «إذا» والثانية هى التى تبدأ بـ «إن» ولما كانت «إن» أقرب إلى مدخول «لولا» الأولى وهو «ترجعونها» من «لولا» نفسها لزم تكرار «لولا» لئلا يظن أن

«ترجعونها» جواب «إن» الذى يحسن رفعه بعد الماضى «وبعد ماض رفعك الجزاء حسن » فلو قام هذا الظن لظلت «لولا» الأولى بلا مدخول وفسد الكلام.

١١ ـ ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الحشر ٢٢ ـ ٢٤) تكرر الضمير «هو» خمس مرات. ثلاث منها متبوعة بلفظ الجلالة واثنتان من هذه الثلاث يأتى فيهما التهليل بعد لفظ الجلالة بعبارة «لا إله إلا هو». ولولا التكرار المذكور لتوالت الأسماء الثلاثة عشر دون فاصل بينها مع ما فى ذلك من إملال هو أبعد ما يكون عن أسلوب القرآن الذى لا يَخْلَق ولا يمل. بل إن هذا التكرار لم يكن كافيا فأضافت إليه الآيات تهليلا وتسبيحا وثناءً بنسبة الأسماء الحسنى إلى ذاته سبحانه.

وقد يكون التكرار لأمن اللبس كما رأينا فى رقم ١٠ وكالذى نراه فى قوله تعالى:

١٢ ـ ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ (النمل ٢٩ ـ ٣٢) فلو لم يتكرر الفعل «قالت» لظن أن عبارة «أفتونى فى أمرى» من كتاب سليمان وأن كلامها هو الذى يأتى على سبيل الاستئناف بعد ذلك بقولها: «ما كنت قاطعة أمرا...»

وقد يكون التكرار مع غير طول الفاصل لإرادة التوكيد كما فى قوله تعالى:

١٣ ـ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (النساء ١٥١)

١٤ ـ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ (الحجر ٢٤)

١٥ ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (يوسف٤)

* ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ (الإسراء ١٠٥)

١٦ ـ ﴿ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِين ﴾ (الروم ٤٩)

وقد يكون التكرار لإرادة التوكيد واقعا بإشارة أو ظرف نحو:

١٧ ـ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ (يونس ٥٨)

١٨ ـ ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (الجاثية ٢٧)

١٩ ـ ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ (ق ٤٢)

٢٠ ـ ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (طه ١٠٢)

٢١ ـ ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الفرقان ٢٢)

٢٢ ـ ﴿ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ (الروم ١٤)

٢٣ ـ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (المرسلات ١٤، ١٥)

٢٤ ـ ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ (الانفطار ١٩)

كان ذلك شأن الربط بإعادة الذكر فى صورها المختلفة. ولكن الربط بإعادة الذكر يتعذر أحيانا يَقْبُحُ أحيانا أخرى فلا يكون ثمة مفر من اللجوء إلى غيره من طرق الربط. ومن الشواهد على تعذر الربط بإعادة الذكر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب ٣٥) تصور أن النص وضع فى مكان الضمير فى «لهم» كل الطوائف المذكورة فى الآية فهل ترى ذلك مستساغا؟ إن الربط بإعادة الذكر يصل فى مثل هذه الآية إلى درجة التعذر. أما شواهد قبح الربط بإعادة الذكر فمنها: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ (الأحزاب ٥٠) أضف لفظ «أجور» إلى مرجع الضمير وهو «أزواجك» وسوف ترى أن جملة الصلة

لم تشتمل على ضمير رابط واشتملت فى مكانه على أسم ظاهر لايغنى فى ربط الصلة بالموصول وفى ذلك قبح لإعادة الذكر.

ومن أهم ما يغنى عن إعادة الذكر الضمائر بأنواعها الثلاثة:

- ضمائر الأشخاص
- الضمائر الموصولة
- ضمائر الإشارة

وهذه الأنواع الثلاثة تشترك فى طابع واحد هو الدلالة إما على مطلق غائب أو مطلق حاضر وهذا الإطلاق فى المعنى هو الذى جعل المعنى عاما من قبيل ما وصفه النحاة بقولهم: «حقه أن يؤدى بالحرف» ومن ثم كانت إفادة الضمائر لهذا المعنى العام شبها معنويا فكان فى رأى النحاة علة فى بناء الضمائر. وفيما يلى تخطيط لصلة هذه الأنواع بالغيبة المطلقة والحضور المطلق:

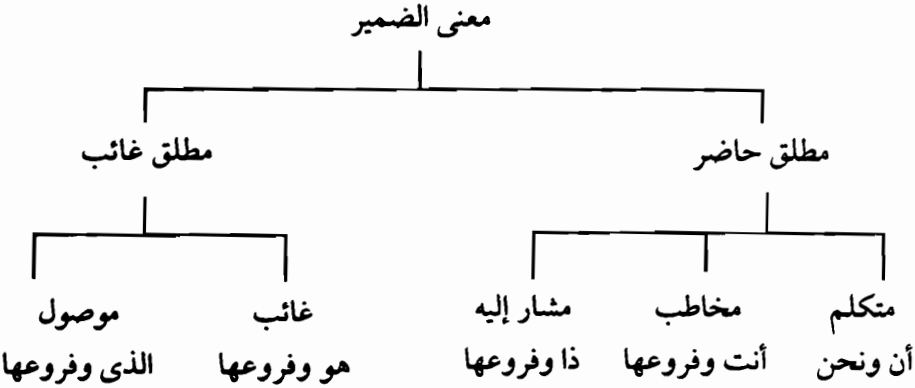

والضمائر بصورة عامة راسخة القدم فى حقل الافتقار والرتبة. وسنرى فيما يلى إن شاء الله بيانا للربط بكل واحد من هذه الأنواع الثلاثة:

الربط بضمائر الأشخاص: يكنى بالضمير عن الظاهر ومن ثم كان الربط بالضمير بديلاً لإعادة الذكر أيسر فى الأستعمال وأدعى إلى الخفة والاختصار، بل إن الضمير إذا اتصل فلربما أضاف إلى الخفة والاختصار عنصرا ثالثا هو الاقتصار، وهذه العناصر الثلاثة هى من مطالب الاستعمال اللغوى والمعروف أن ضمائر المتكلم

تفتقر إلى متكلم وضمائر الخطاب تفتقر إلى مخاطب فيكون المتكلم بمثابة المرجع لضميره ويكون المخاطب كذلك أما ضمير الغيبة فيفتقر فى العادة إلى مذكور يعد مرجعا له فلا يتضح معنى الضمير إلا بواسطة ذلك المرجع. وشرط الإضمائر أن يكون بين الضمير ومرجعه مطابقة فى اللفظ والقصد بحيث لوعدنا بالإضمار إلى الإظهار لحصلنا على اللفظ نفسه وعلى المدلول نفسه. أى أننا إذا كان لدينا جملة مثل: «ذهب زيد إلى بيته» فسأل سائل: «بيت من؟» كان الجواب: «بيت زيد المذكور» فحل «زيد المذكور» محل الضمير دالا على مادل عليه الضمير. وإذا قرأنا أية مثل قوله تعالى: ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾ (ص ٢٤) فهمنا أن الفتنة وقعت على داود وأن الضمير حل محل داود لقبح الإظهار ولما فيه من إطالة لامبررلها، ولنا أن نقارن الجمل الثلاث الآتية:

١ ـ نفس عصام سودت عصاما.

٢ ـ سودت نفس عصام عصاما.

٣ ـ إن عصاما سود عصاما.

سنرى أن الكلام فى الجملتين الأولى والثانية يدور حول «النفس» وأن عصاما حل فى موقع المضاف إليه فمحصول الكلام فى النهاية: «سودت النفسُ عصاما» بالنسبة للجملتين المذكورتين ومن هنا لا يتسرب القبح إلى إعادة ذكر عصام لأنه جاء أول الأمر لمطلب تركيبى صرف هو الحاجة إلى الإضافة، أما فى الجملة الثالثة فإن «عصاما» هو مدار الكلام فتكراره يوحى بأن المفعول به شخص آخر يسمى «عصاما» أيضا. وهكذا يقبح الإظهار وإعادة الذكر هنا لأن الاستعمال عودنا على أحد خيارين.

أ ـ إما أن يكون المفعول به هو الفاعل فندل عليه بالضمير المضاف إلي النفس: «نفسه».

ب ـ وإما أن يكون المفعول غير الفاعل فيأتى على صورة الاسم الظاهر.

والاختيار الأول هو الذى جعلنا ننسب الجملة الثالثة إلى القبح وكذلك إعادة لفظ داود فى الآية.

ولعلنا حين ننظر إلى «نفس عصام» فى الجملتين الأوليين نجدها ظلا للضمير المضاف إلى النفس «نفسه» وجاء الإظهار لأن الضمير فى هذا الموضع سيعود على متأخر لفظا ورتبة فوجب إظهار عصام فى الإضافة، ولو تأخر لحسن الإضمار وكانت الجملة على صورة «سودت عصاما نفسهُ». هذا هو الشرط الضرورى لتحقق الإضمار ولدلالة الضمير على الربط.

دعنا الآن نختبر احتمال عدم المطابقة فى القصد ثم عدم المطابقة فى اللفظ ثم ننظر فيما يترتب على كل منهما فى مجال الربط. لقد أوردنا عند الكلام عن الربط بإعادة الذكر شاهدا على أن الإعادة قد تكون لأمن اللبس وقلنا إن هذا الشاهد هو قوله تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ** ﴾ (آل عمران٢٦) إن تكوار لفظ الملك قد حقق المطابقة فى اللفظ فقط أما القَصْد فقد اختلف لأن الملك الأول سلطة معطاة والملك الثانى سلطة غيرها مسلوبة والملك الثالث هو ملكوت الله تعالى فلا يطابق أحدها الآخر فى القصد وإن تطابقت الألفاظ. ومثله: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا** ﴾ (البقرة ٤٨) لأن النفس الأولى غير الثانية، ومن ثم يمتنع الإضمار وإلا فانظر إلى اختلاف المعنى، فيما إذا وضعت ضمير الغائب فى محل لفظ الملك أو النفس لأنك حينئذ ستفهم أن ملكا واحدا كان نهبا بين سعيد ممنوح وشقى محروم، وأنه عاد فى النهاية إلى رب قادر، وهذا غير المعنى المراد وأن النفس لاتجزى عن نفسها وهو غير مقصود أيضا والله أعلم.

وقد يتحد القصد ولكن يُوجَد معنى إضافى يستحق أن يتضح كإرادة وصف المرجع مثلا فعندئذ لا يمكن أن تتحقق هذه الزيادة فى المعنى دون وسيلة أخرى قد تكون إشارة إلى المرجع أو موصولا يعود عليه أو وصفا متصلا بأل الموصولة أو اسما واصفا للمرجع وسنرى شواهد على استعمال كل واحدة من هذه الوسائل وسنرى أيضا أن دليل الربط بكل واحدة منها هو صحة حلول الضمير الرابط محلها دون أن يتغير المعنى. وفيما يلى بيان ذلك:

يكثر الربط بالإشارة فى القرآن الكريم، وينبغى أن نشير إلى أنه على الرغم من

دلالة الإشارة على الحضور وإشارتها إلى مذكور سابق نرى أنه يطرد إمكان استبدال ضمير الغائب بها فى كل موقع تربط فيه بين عناصر الجملة. وإليك الشواهد الآتية:

١ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ (النساء ١٥٠ ـ ١٥١) جاء الربط بالإشارة وبعدها ضمير الفصل ولولا ضمير الفصل لصح أن تضع ضمير الغيبة موضع الإشارة.

٢ ـ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (المائدة ٨٦) يصلح الضمير «هم» أن يحمل محل الإشارة دون أن يتغير المعنى.

٣ ـ ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف ٢٦) مرة أخرى يصلح الضمير «هو» أن يحل محل الإشارة.

﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (الرعد ٢٥) أى هم الذين لهم اللعنة.

٤ ـ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾(المؤمنون٥٨ ٦١)

٥ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (النور ٦٢)

٦ ـ ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الفرقان ٣٤)

٧ ـ ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (غافر ٤٠)

٨ ـ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم ﴾ (غافر ٦٤)

٩ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (الحجرات ٣)

١٠ ـ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (التغابن ١٠)

١١ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة ٧)

وقد يكون الربط بالموصول عند إرادة وصف المرجع بصفة تدل على مدحه أو ذمه ودليل صحة الربط بالموصول أيضا أن يصح لضمير الغيبة أن يعاقبه فى موقعه وهذه المعاقبة هى التى دعت البلاغين إلى تسمية هذه الظاهرة: «الإظهار فى موطن الإضمار»

ولكن المسألة كما يتضح ليست مسألة إظهار ولا اسم ظاهر وإنما هى اختيار ضمير موصول ليحل فى موقع ضمير شخصى بسبب مطابقة القصد وإختلاف اللفظ، وكلا الضميرين فى النهاية عوض عن إعادة الذكر التى ذكرنا أنها الأصل فى الربط وفيما يلى شواهد على الربط بضمير الموصول:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأنعام ٧) أى لقالوا:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ (الأنعام ٢٥) أى يقولون:

ولكن العدول عن الضمير المتصل إلى ضمير الموصول كأن لارادة ذمهم بالكفر.

٢ ـ ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (الأنعام ٢٢) أى نقول لهم.

٣ ـ ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ (الأنعام ١٢٤) أى سيصيبهم.

٤ ـ ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (التوبة ٩٠) أى «وقعدوا» فحل الموصول محل واو الجماعة.

٥ ـ ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ (يونس ١٥) أى «قالوا».

٦ ـ ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (يونس ٤٥) أى قد خسروا.

٧ ـ ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (النحل ٢٢، ٢٣) أى يعلم إنكارهم واستكبارهم فلا يحبهم.

٨ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (الكهف ٣٠) أى أجرهم.

٩ ـ ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الحج ٥٤) أى «لهاديهم».

١٠ ـ ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ﴾ (الحج٧٢) أى فى وجوههم.

١١ ـ ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ (الفرقان ٣، ٤) أى «وقالوا».

١٢ ـ ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ﴾ (العنكبوت ٣٢) أى «نحن أعلم به».

١٣ ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سبأ ٤٣) أى «وقالوا إن هذا إلا سحر مبين».

١٤ ـ ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴾ (الزمر ١٩) أى «تنقذه».

١٥ ـ ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأحقاف ٧) أى «قالوا» وقد يتم الربط بالصفة التى دخلت عليها «ال» الموصولة لتؤدى الغاية التى من أجلها استعمل ضمير الموصول فى الشواهد السابقة وذلك كقوله تعالى:

١ ـ ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة ٩٨) أى لَهم».

٢ ـ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ (النساء ٦١) أى رأيتهم».

٣ ـ ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (الأنعام ٣٣) أى «ولكنهم».

٤ ـ ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة ٢٦) أى «جزاؤهم».

٥ ـ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ (إبراهيم ١٣) أى «لنهكنهم أى الذين كفروا».

٦ ـ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الحجر ١٠ ـ ١٢) أى «فى قلوبهم».

٧ ـ ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (النحل ٣٠) أى «نعم دارهم».

٨ ـ ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ (الإسراء ٤٧) أى «إذ يقولون».

٩ ـ ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ (الكهف ٤٨، ٤٩) أى «فتراهم».

١٠ ـ ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ (الفرقان ٢٢) أى «لا بشرى يومئذ لهم».

١١ ـ ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴾ (الشعراء ١٧٣) أى «فساء مطرهم».

١٢ ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص ٤٠) أى عاقبتهم.

١٣ ـ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (الزمر ٣٢) أى «مثوى لهم».

١٤ ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبوت ٤٨) أى «إذاً لا رتابوا».

وقد يؤدى عدم المطابقة فى اللفظ إلى الربط بلفظ فيه مدح أو ذم ولكنه لا يعد من الصفات المشتقة وذلك كلفظ قوم وأئمة ونحو ذلك مما سنرى فى الشواهد الآتية:

١ ـ ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ (آل عمران ١٤٠) أى «فقد مسهم».

٢ ـ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء ٧٦) أى «فقاتلوهم».

٣ ـ ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (النساء ٧٨) أى «فمالهم».

٤ ـ ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام ٦٨) أى «فلا تقعد معهم».

٥ ـ ﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ (التوبة ١٢) أى «فقاتلوهم».

٦ ـ ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة ١٤) أى «ويشف صدوركم».

٧ ـ ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة ٣٧) أى «والله لا يهديهم».

٨ ـ ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ (الأنبياء٤٥) أى «ولا يسمعون الدعاء» إن قلت لهم ذلك.

٩ ـ ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف ٤٧) أى «لا تجعلنا معهم».

١٠ ـ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (الأعراف ٩٣) أى «فكيف آسى عليكم».

١١ ـ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (المؤمنون٤١) أى «فبعداً لهم».

١٢ ـ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص ٢٥) أى «نَجَوْتَ منهم».

١٣ ـ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الصف ٥) أى «والله لا يهديهم».

وقد يكون الربط فى بعض الحالات بواسطة «ال» التى للتعريف، ولبيان المقصود بهذا القيد نعرض البيان التالى لأنواع «ال» لنفرق بين صور الربط بها ودلالة كل نوع من أنواعها:

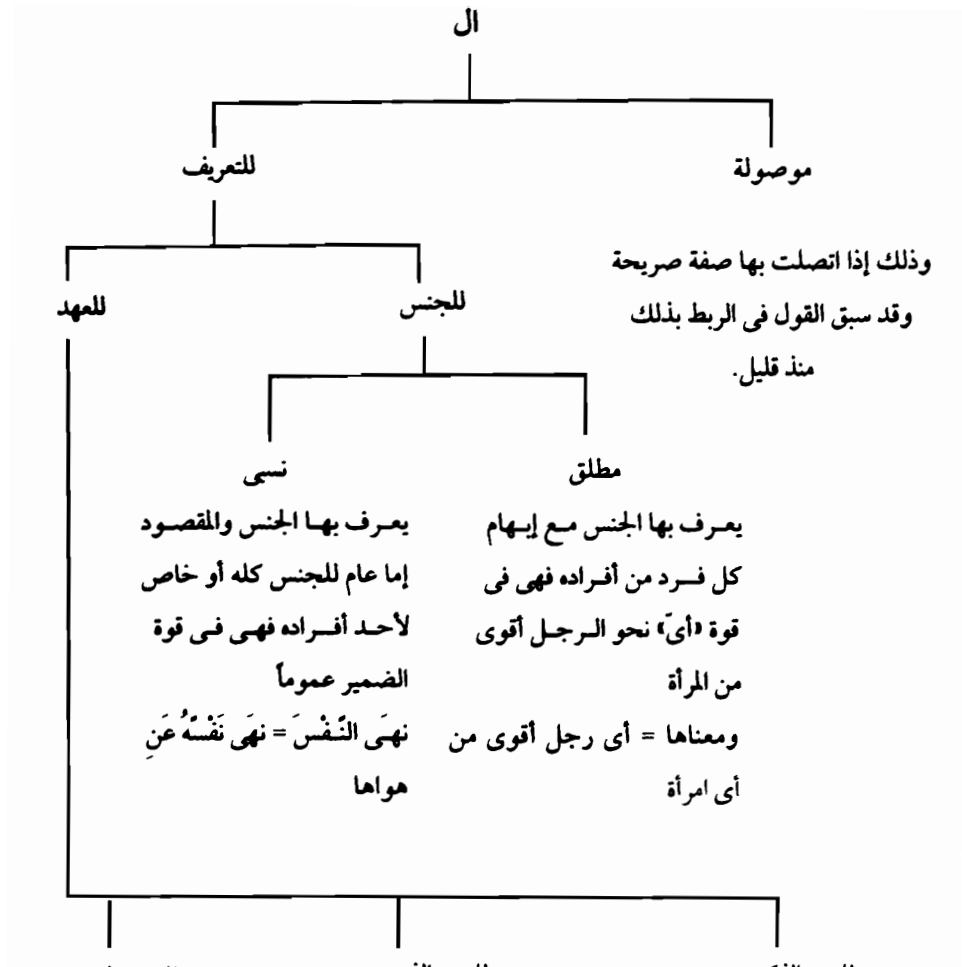
ال
موصولة
للتعريف
وذلك إذا اتصلت بها صفة صريحة
وقد سبق القول فى الربط بذلك
منذ قليل.
للعهد
للجنس
نسبى
يعرف بها الجنس والمقصود
إما عام للجنس كله أو خاص
لأحد أفراده فهى فى قوة
الضمير عموماً
نهَى النَّفْسَ = نهَى نَفْسَهُ عَنِ
هواها
مطلق
يعرف بها الجنس مع إبهام
كل فرد من أفراده فهى فى
قوة «أىّ» نحو الرجل أقوى
من المرأة
ومعناها = أى رجل أقوى من
أى امرأة
للعهد الذكرى
تعرّف مذكورا سابقا
وتكون فى قوه ضمير الغائب نحو:
رأيت رجلا فسلمت على
الرجل = فسلمت عليه
ونحو: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ
فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾
(النور ٣٥)
للعهد الذهنى
تعرّف مفهوما مشتركا بين المتكلم
والسامع إذا ذكر انصرف الذهن إليه
فهى فى قوة ضمير الإشارة
نحو: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ
مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الأحزاب ٦)
= هذا النبى الذى تعرفونه
للعهد الحضورى
يعرّف بها حاضر يراه
المتكلم والسامع فهى أيضا
فى قوة ضمير الإشارة
نحو:
من الرجل؟ = من هذا
الرجل

يتضح من هذا البيان أن «ال» تربط إذا كانت موصولة أو للجنس النسبى أو للعهد الذكرى ولكنها لا تربط إذا كانت للجنس المطلق أو المعهد الحضورى أو الذهنى لإشارتها فى هذه الأنواع الثلاثة الأخيرة إلى حقيقة لا تشير إلى كيان آخر ولا إلى ما سبق ذكره، أما الأنواع الثلاثة التى يربط بها فى السياق فجميعها فى قوة ضمير الغائب كما اتضح فى التعقيب على شواهد الموصولة التى صلتها صفة صريحة وفى شرح الجنس النسبى والعهد الذكرى فى البيان الموضّح فوق هذا الكلام.

أحس عند هذه النقطة أن تقسيم الجنس إلى مطلق ونسبى تقسيم غير تقليدى ومن ثم يظل بحاجة إلى فضل إيضاح: كلا النوعين ينتمى إلى الكليات المنطقية دون شك فالرجل يصدق على كل رجل كما أن النفس تصدق على كل نفس ولكن النفس تنتمى إلى قسم من الأجناس لايستقل بالوجود المطلق وإنما يكون فهمه بالإضافة إلى ذى نفس أما الرَجُل فمفهوم غير إضافى بمعنى أنه إن صح أن نقول «نفس فلان» فلا يصح أن نقول «رَجُل فلان» إلا على التأويل بلفظ «خادم» أو «تابع» أو نحوهما من الألفاظ التى تتسم بالإضافة والنسبية. والنسبية إحدى العلاقات العقلية التى تفهم الألفاظ فى إطارها فإذا قلت «أب» فذلك يفهم بالنسبة إلى «ابن» ويفهم «الزوج» بالنسبة إلى «الزوجة» و«العقل» بالنسبة إلى «العاقل» و«العين» بالنسبة إلى «ذى العين» و«الطول» بالنسبة إلى «من هو أقصر منه» وهكذا فإذا دل المفهوم النسبى على الجنس صح أن تلحقه اللام الرابطة وفيما يلى شواهد على الربط بأنواع «ال»:

١ ـ ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ (النساء ٩١ أى «أرحامكم».

٢ ـ ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ ﴾ (الأعراف٤٦) أى «على أعرافه» أى على أعراف الحجاب وهو السور الفاصل بين الجنة والنار والأعراف هى الزوائد الرأسية المبنية فى أعلى السور كما يلاحظ فى مبانى الحصون سميت بذلك تشبيها لها بأعراف الديكة.

٣ ـ ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (الأنفال ١٢) أى «فوق أعناقهم».

٤ ـ ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف ٥٣) أى إن «نفسى لأمارة بالسوء» وإنما عدلت عن الإضافة إلى التعريف بآل لتجعل السوء طبيعة جنس النفوس التى منها نفسها فيبدو ذنبها أخف مما لو أضافت النفس إلى ضميرها هى.

٥ ـ ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ (الأحزاب ١٠) أى «زاغت أبصاركم وبلغت قلوبكم حناجركم».

٦ ـ ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (النازعات ٣٧ ـ ٣٩) أى «مأواه».

٧ ـ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات ٤٠) أى «نهى نفسه عن هواها».

٨ ـ ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (النازعات ٤١) أى «مأواه».

كان هذا بيانا للربط بالضمير عوضا عن إعادة الذكر ثم للربط بما يحل محل الضمير عند عدم المطابقة بينه وبين المرجع فى اللفظ أو فى القصد وبقى من القول فى الربط بالضمير أن نتكلم عن قضيتين مهمتين هما:

رتبة الضمير والمرجع ـ قرب المرجع وبعده

هنا يرد على المسألة سؤال مهم جدا عما إذا كان من الضرورى أن يذكر المرجع فى الكلام وللإجابة على ذلك نشير إلى ما تعوده النحاة من إرجاع الضمير إلى مصدر متصيد من الفعل أى غير مذكور فى الجملة نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة ٢٧١) أى «فإخفاؤها وإيتاؤها الفقراء خير لكم» وقوله تعالى: ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي

اللَّه ﴾ (التوبة ٣) أى «فتوبتكم خير لكم» وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ (النحل ١٢٦) أى «لصبركم خير لكم» وقوله ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ (الحج ٣٠) أى «فتعظيمه خير» وقوله ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الجمعة ٩) أى «ذلكم السعى والترك» وهكذا نرى المصدر المتصيد يعود عليه ضمير الغائب فى الآيات السابقة إلا فى آية الجمعة فقد أشير إليه بضمير الإشارة وفى كل ذلك لم يذكر صراحة وهو مرجع ضمير الغائب ولم يذكر صراحة وهو مشار إليه، وفوق ذلك يمكن أن نورد الآيات التالية التى لا دليل على مرجع بعض الضمائر فيها إلا قرينة السياق والمعنى الدلالى للجملة: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ (التكوير ١٥ ـ ٢٨).

لقد تكرر ضمير الغائب فى هذه الآيات فى قوله إنه ـ رآه ـ وما هو ـ إن هو دون أن يتقدم عليه مرجعه وإنما دل السياق على المرجع إما بإشارة إليه بعد الضمير كما فى قوله «مجنون» أو «بالأفق» أو «ضنين» أو «قول» أو «ذكر» فكل كلمة من هذه تشير إلى المقصود بالضمير، والنتيجة التى يؤدى إليها هذا الكلام. أن الضمير قد يكون له مرجع صريح وقد يكون له مرجع متصيد من الفعل وقد تدل عليه قرينة السياق العام للكلام كما فى آيات التكوير السابقة وقد لا يظهر مرجعه كما فى ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ (النور ٤٠) إذ لا تجد قبله ما يصلح مرجعا إلا لفظ الظمآن، والظمآن لا يقصد البحر اللجى ليشرب منه.

هل يتحتم عند ذكر المرجع أن يتقدم المرجع؟ هناك عاملان يتحكمان فى رتبة

الضمير والمرجع، ذانك هما اللفظ وأصل الرتبة، والأصل أن يتأخر الضمير ويتقدم المرجع لفظا ورتبة كما فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ (القصص ٧٦) فهناك ضمير فى «كان» يعود على قارون وفى «عليهم» يعود على قوم موسى وفى «آتيناه» يعود على قارون وفى «مفاتحه» يعود على «ما» وفى «تنوء» يعود على المفاتيح وفى «قومه» يعود على قارون وكل المراجع فى هذه الآية تقدمت لفظا ورتبة وتأخر الضمير، ولكن ضمير الشأن من بين كل ما عداه إنما يعود على متأخر لفظا ورتبة ولا يتقدم مرجعه أبداً لأن مرجعه جملة مفسرة له ولا يتقدم المفسر «بكسر السين» على المفسر (بفتحها). أما ما عدا ذلك فيجوز لكل ضمير أن يعود إلى مرجع تأخر عنه إما فى اللفظ فقط وإمّا فى الرتبة دون اللفظ، وتعلق اللغة العربية على رتبة الضمير والمرجع أكبر اهتمام لارتباط هذا الأمر بأمن اللبس، غير أن الأساليب العربية التى تترجم عن لقات أجنبية بدأت فى يومنا هذا تمارس إعادة الضمير على متأخر فى اللفظ والرتبة كقولهم: «فى مؤتمره الصحفى بالأمس قال الوزير كذا» وربما سهل ذلك لهم أن رتبة الجار والمجرور من الفعل والفاعل غير محفوظة وإن كانت فى أصلها متأخرة عنهما.

وهل يتحتم أن يعود الضمير إلى أقرب مذكور؟. ربما بدأت الإجابة على هذا السؤال بتقرير مبدأ عام يشمل جميع العلاقات النحوية، ذلك أن العلاقات إذا اتضحت ولم يحط بها اللبس فإنه يمكن للمتكلم أن يمارس فى شأنها قدرا من الحرية يباعد به بين طرفى العلاقة. يصدق ذلك على علاقة المبتدأ وخبره وعلاقة الصفة وموصوفها وعلاقة الحال وصاحبها وعلاقة المتعاطفين وعلاقة الجار والمجرور ومتعلقه وعلاقة الضمير ومرجعه إلخ.

لقد رأينا شراح المتون كيف يباعدون بين المبتدأ والخبر لأن شرح المبتدأ أو التعليق عليه استغرق صفحة كاملة أو صفحتين فإذا جاء الخبر علم القارىء أن كل ما مر بعد ذلك المبتدأ لا يعد فاصلا نحويا بينه وبين الخبر وإنما هو فاصل فى نوع آخر غريب على الجملة المكونة منهما ـ أما الصفة فقد يفصل بينها وبين موصوفها كما فى قوله

تعالى: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴾ (سبأ ٣) إذ فصل جواب القسم بين الصفة وموصوفها. وأما فصل الحال عن صاحبها وإن كان بحال أخرى أطول منها فنحو ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا ﴾ (الكهف ١، ٢) وأما تباعد المعطوف والمعطوف عليه فنحو قوله تعالى:

١ ـ ﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ (مريم ٣١، ٣٢) أى «وجعلنى براً بوالدتى».

٢ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ (الأحزاب ٥٣) أى «غير ناظرين ولا مستأنسين» ولكن الاعتراض طال بين المتعاطفين.

وأما البعد بين الجار والمجرور ومتعلقه فنحو ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الرعد ١١) أى له معقبات من أمر الله يحفظونه. إذ لا يصح أن نعلق الجار والمجرور بالفعل «يحفظونه» لأنه لا يمكن لشىء أن يحول دون أمر الله. مثل هذا هو المقصود بقرينة السياق، وأما عود الضمير إلى أبعد مذكور فمثل ما فى قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ (يوسف ٧، ٨) فالضمير فى «قالوا» للإخوة بقرينة قولهم «أبينا» مع أن السائلين أقرب إلى الضمير من الإخوة وكذلك ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ (يوسف ١٧) فالضمير ليوسف وليس للمتاع لأن الذئب لا يأكل المتاع. ونجمل القول إنه إذا اتضح المعنى عاد الضمير إلى مرجعه دون اشتراط قربه أما إذا خيف اللبس فإن الضمير يجب أن يعود إلى أقرب مذكور أو بعبارة أخرى وجب على المتكلم أن يجعل المرجع أقرب شىء إلى الضمير.

وكل أداة داخلة على جملة لإفادة معنى الجملة فهى رابطة تقوى بها الصلة بين كل المفردات الداخلة فى حَيزها يصدق ذلك على النفى وعلى الأمر باللام والنهى

والاستفهام والشرط والقسم والتعجب الخ. فأما فى النفى فإن حرف النفى ينفى كل ما فى حيزه فإذا نفيت بـ «لا» مثلا فقد نفيت إسناد خبرها إلى اسمها فكانت «لا» بهذا النفى رابطة مفيدة لسلب الإسناد ففى قوله تعالى: ﴿ **فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ (البقرة ١٩٧) نجد أن «لا» نفت حل كل واحد من هذه الثلاثة أثناء الحج نفيا قاطعا يرقى إلى مستوى الأمر بالاجتناب أى إلى مستوى النهى مما يجعل الأسلوب الخبرى هنا خبريا فى الشكل إنشائيا فى المضمون والأمر باللام والمضارع تركيب تربط فيه اللام بين عنصرى الإسناد وهذا واضح ولكن ربطها كذلك يتناول حتى ما يعرف باسم جواب الأمر إذا لو حذفت اللام من المضارع لضاعت الرابطة بين الأمر وجواب الأمر فإذا قلت: «فليعرف كل كل امرئ واجبه يحمد» ثم حذفت لام الأمر عرفت المقصود بالملاحظة السابقة ويقال الشىء نفسه عن «لا» الناهية كما فى قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ** ﴾ (المدثر ٦) فلو حذفت «لا» لارتفع المضارعان ولأصبح ثانيهما حالا لا جوابا ويربط حرف الاستفهام بين عناصر الجملة التى دخل عليها حتى ليصبح كل ما فى حيزه مشمولا بالمعنى العام الذى عبر عنه الحرف. فهناك فرق بين «ما كان هذا؟» و«أين كان هذا؟» و«متى كان هذا؟» بحيث يكون الاستفهام الأول عن الماهية والثانى عن المكان والثالث عن الزمان ويصبح هذا هو معنى الجملة ولا يأتى معنى «كان» و«هذا» إلا فى المرتبة الثانية. لأنهما يبقيان لو حذفت أداة الاستفهام فلا يتغير شكلهما وإن تغير بعد الحذف مضمونهما. أو بعبارة أخرى تغير نوع ارتباطهما إلى ما سنعرفه عند تناولنا للربط بالمطابقة بعد قليل.

ثم تأمل ارتباط الشرط بجوابه بواسطة أداة الشرط فى قوله تعالى: ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ** ﴾ (محمد ٧) فلولا الأداة لارتفع الفعلان وأصبح ثانيهما حالا كما حدث فى شاهد النهى من قبل. وفى قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا** ﴾ (الأنعام ١٠٧) لو لم تكن الأداة موجودة لتحولت «ما» إلى معنى المصدرية ولأصبح المعنى والعياذ بالله: «شاء الله إشراكهم». إلى هذا الحد ربطت «لو» بين عناصر الجملة ففرضت على الجملة معنى الشرط والجواب. وأداة القسم أيضا تربط بين القسم وجوابه ولا يكون القسم إلا على زعم تأكيد صحة قضية هى التى تسمى

الجواب أى أنه لا قسم إلا وله جواب ففى قوله جل شأنه: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ (الذاريات ٢٣) لو لم تكن أداة القسم لأصبح الضمير فى «إنه» عائدا إلى رب السموات والأرض لا إلى ما سبق ذكره من آيات الله فى الأرض والأنفس والأرزاق التى فى السماء. وبهذا يتغير المعنى مما يدل على ارتباط الجملة والجواب بأداة القسم. وأداة التعجب تربط عناصر الجملة. بدليل اعتماد المعنى عليها فلو رفعت من موقعها لتغير المعنى، فإذا قلنا: «ما أوسع شهرة زيد» فالمعنى على التعجب فلو حذفنا «ما» لتغير المعنى ولكان علينا أن نبحث لضمير الفاعل المستتر فى «أوسع» عن مرجع يلائمه ولتحول الكلام من الإنشاء الإفصاحى إلى الخبر. ويقال ذلك أيضا عن العجب فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ﴾ (القارعة ١٠).

وهناك أيضا الأدوات الداخلة على الأجوبة ولها وظيفتان أساسيتان: الأولى هى الربط وإيضاح أن الكلام يأخذ بعضه بحجز بعض (كما يقول عبد القاهر) والثانية أمن اللبس بجعل الأداة الداخلة على الجواب قرينة على أن ما بعدها جوابٌ وليس شيئا آخر. ولتوضيح هاتين الوظيفتين نسوق الإيضاح التالى: أولا إذا نظرنا إلى تركيب أسلوب الشرط وجدناه مركبا من عنصرين أولهما الشرط والثانى الجواب وكل من العنصرين جملة وإن تعودنا أن نركز النظرة من الشرط على فعل الشرط لأن الأثر الإعرابى لأداة الشرط يظهر فى الفعل بالذات لا فى جملة الشرط كلها ومن هنا لا يرد على ألسنتنا التعبير بعبارة «جملة الشرط» وإنما نتكلم عادة عن «فعل الشرط». أما بالنسبة إلى الجواب فقد تعودنا أن نراه جملة تامة إن صلح فعلها للجزم جزم وإلا فالجملة جميعها فى محل جزم. أما من حيث دخول الرابط على جملة الجواب فقاعدة ذلك تدخل تحت مبدأ المعاقبة، فإما أن يصلح الجواب للحلول محل الشرط ودخول أداة الشرط عليه وإما ألاّ يصلح أو بعبارة أخرى: إما أن يكون الجواب صالحا أن يعاقب الشرط وإما ألاّ يكون. فإن كان فلا حاجة له إلى رابط يتضح به أنه الجواب. ففى قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ (محمد ٧) يمكن للجواب أن يكون شرطا بدليل ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُم ﴾ (آل عمران ١٦٠)

ولو نظرنا إلى هذا الشاهد الأخير لوجدنا جواب الشرط جملة أسمية منسوخة بلا النافية للجنس ليست تصلح لمعاقبة الشرط ومن هنا اقترن جواب الشرط بالفاء الرابطة لاحتمال ورود اللبس عليها فلولا الفاء لصلحت جملة الجواب أن تكون حالا من ضمير المخاطبين الذى فى «ينصركم» ولظل السامع ينتظر الجواب الذى لا دليل على حذفه. ويقال هذا أيضا فى نحو ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ ﴾ (البقرة ٢٧٢) ونحو ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ (فصلت ٤٦) لأن الفاء منعت الجار والمجرور أنَ يتعلَقَ بفعل الشرط. وإذا كان الطرد علة من علل النحو فإنه يكفى أن يرد اللبس على بعض الحالات للقول بطرد اتصال الرابط بالجواب إذا لم يصلح لمعاقبة الشرط ويذكرنا هذا بقول الفقهاء «ما أسكر كثيره فقليله حرام» وإن اختلفت الحالتان قلة وكثرة.

ثانيا إذا نظرنا إلى مثال مثل: «لولا زيد كثر مال أبيه ما أجزل العطاء» أدركنا أن فى الكلام لبسا لأن المعنى يصلح لاحتمالين: الأول أن تكون جملة «كثر مال أبيه» جواب «لولا» وأن تكون الجملة التى بعد ذلك تَعَجبية تَعْجب من تكرم زيد بمال أبيه إلى الدرجة التى منعت هذا المال أن يكثر وهذا التقدير موافق لرأى القائلين بأن شرط «لولا» كون عام محذوف دائماً. أما الاحتمال الثانى فهو أن تكون عبارة «كثر مال أبيه» خبرا لزيد والجواب «ما أجزل العطاء» إذ تكون «ما» نافية لا تعجبية ولنا فى تفسر هذا التركيب أن نقول بتقدير «أنّ» محذوفة بعد لولا أو نرتضى أن يكون خبر زيد كونا خاصا على نمط قول المعرى: «فلولا الغمد يمسكه لسالا». ولكن قول المعرى واضح بسبب إيقاع اللام الرابطة موقعها الذى يتضح به الكلام. أما فى مثالنا السابق فإن اللام تصلح لأحد موقعين لو وضعت فى أى منهما لاتضح المعنى. ذانك الاحتمالان هما:

أ ـ لولا زيد لكثر مال أبيه. ما أجزل العطاء؛ (أى عطاءه)

ب ـ لولا زيد كثر مال أبيه. لما أجزل العطاء

هكذا نرى أثر الرابط فى إيضاح الأجوبة

وليس الربط لجواب القسم بأقل خطرا، فإذا تأملت جملة مثل «بالله لأهتدين إلى الخير» وجدت اللام رابطة لجواب القسم وقد ترتب على وجودها تأكيد المضارع بالنون فلو حذفت اللام لحقت بها النون. وفى هذه الحالة تصبح الجملة: «بالله أهتدى إلى الخير» ولا تعود الجملة قسما كما كانت وإنما يتعلق المجرور بالفعل «أهتدى» وليس بفعل متقدم محذوف تقديره «أقسم».

لاخظ ايضا مكان الفاء مما يلى:

أ ـ أما الزاهد فى الخير فغَير زاهد

ب ـ أما الزاهد ففى الخير غير زاهد

ثم قارن بذلك عبارة

أما الزاهد فى الخير غير زاهد.

وسترى إن فعلت أن الربط بالفاء قد حدد معالم الجواب وأنقذ الكلام من براثن اللبس. أقول من براثن اللبس لأن اللبس يتربص بأنماط اللغة فإذا لم يكن المتكلم على وعى بمواقع كلماته فلربما قال مالا يريد أن يقوم أما إذا احتاط للمعنى برصد القرائن هنا وهناك فإنه لا يقع فى اللبس: انظر إلى قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُم** ﴾ (المائدة ٤) تجد الواو تصلح من الناحية النحوية البحتة للعطف على الطيبات كما تصلح للأستئناف وعلى الأول تكون «ما» موصولة وعلى الثانى شرطية جوابها «فكلوا» والقرينة على إرادة المعنى الثانى «الشرط» أن الجوارح لا يحل أكلها شرعا سواء علّمت أم لم تعلم ومع أن الفاء رابطة لم تغن عن هذه القرينة لأن الفاء نفسها تصلح للاستئناف عند إرادة المعنى الأول.

وأخيرا تأتى الحروف الداخلة على المفردات إذ نجد لكل نوع منها آتجاهه الخاص فى الربط بين مدخوله وعناصر الجملة الأخرى. وأول ما نذكر من ذلك حرف الجر الذى يعد رابطة بين المجرور والمتعلق فيجعل الأول من تتمة معنى الثانى على أحد المعانى المذكورة فى باب حروف الجر. ومعنى أدائه وظيفة الربط بين العنصرين

المذكورين أنه إذا تعددت المشتقات فى الجملة فأولاها بتعليق الجار والمجرور ما استقام معه المعنى أودلت عليه القرينة وقد رأينا ذلك من قبل عند الكلام فى تعليق الجار والمجرور من قوله تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الرعد ١١) إذ علقنا الجار والمجرور (من أمر الله) بنعت مقدر للمعقبات فَجعلنا المعقبات من أمر الله ومنعنا التعليق بالفعل «يحفظونه» وهو أقرب شىء إلى المجرور لأنه لا يمكن لشىء أن يحفظ غيره من أمر الله. ومثله ما فى قوله تعالى: ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾ (يونس ٢٤) إذ من الواضح أن الجار والمجرور مَتَعَلّقٍ بـ «قادرون» والمعنى وظن أهلها أنهم مسيطرون، عليها مَالكُونَ لأمرها فهذا التركيب المثبت يأتى عند النفى شبيها بقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ (النحل ٧٥) أى لا يملك شيئا فكأن أهل الأرض يظنون أنهم يملكونها فيكون ذلك من أشراط الساعة.

وحرف العطف يربط بين المتعاطفين من جهة التشريك أو الترتيب والتعقيب أو التراخى أو الإضراب أو الاستدراك أو التسوية. فبعض هذه المعانى كما ترى ربط بالإيجاب وبعضها ربط بالسلب (أى إيجاب حكم الأول للثانى أو سلبه منه) ومعنى أدائها لوظيفة الربط يتضح حين تتعدد احتمالات العطف ولكن القرينة تحكم بأحقية واحد منها دون غيره كما فى قوله تعالى: ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ (الأنعام ٩٩) إذ يصلح الينع من الناحية التركيبية الصرف أن يعطف على الثمر كما يصلح أن يعطف على ما أضيف إليه الثمر وهو ضمير الغائب. ثم تأتى القرينة من الاستعمال اللغوى إذ يقال للثمر إنه يانع ولا يقال ذلك للشجر. بذلك نعلم أن العطف على الثمر وأن الواو ربطت بين الثمر والينع.

ولكل معنى من معانى العطف حرف يختص بالدلالة عليه ولكنه لا يحول بين الحروف الأخرى وبين الدلالة على هذا المعنى بواسطة النقل فقد تدل «إلا» على الاستدراك نحو ﴿ طه ① مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ② إِلاَّ تَذْكِرَةً

لِّمَن يَخْشَى ﴾ (طه ١، ٢) أى «لكن تذكرة» إذ لا وجه للاستثناء وكدلالة «أو» على التسوية نحو ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (التوبة ٨٠) وكدلالة «أم» على الإضراب فى قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ ﴾ (البقرة ٢١٤) أى بل ظننتم أنكم ستدخلون الجنة قبل أن تمروا بتجارب الجهاد كما مر الذين من قبلكم من أتباع الرسل فلقد مستهم البأساء والضراء وزلزلوا الخ.

وتربط واو المعية صاحبا بمصحوب لا يستقيم عطفه على الأول لعدم صحة المشاركة فى الحدث فإذا قلت «سرت والنيل» فإن النيل لا يصح منه السير وإذا قلت: «صحوت وشروق الشمس» فإن الشروق لا يصحو كما يصحو الإنسان فإذا تأرجح المعنى بين العطف والمعية فالعطف أولى إلا أن تقوم قرينة على العكس فإذا سمعت من يقول: «أَحْبَبْتُ الزَّهْرَ وَحُلُولَ الرَّبِيعِ» فلست تعلم من مجرد التركيب ما إذا كان حلول الربيع محبوبا أو مصحوبا إلا أن تدل قرينة على ذلك فإذا لم تدل فالعطف أولى والخيار غير واقع بسبب وضوح المعنى بالقرينة فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة ٢١) فالواو عطف على الضمير فى «خلقكم» إذ لا يصلح «الذين من قبلكم» أن يكون مصحوبا للناس أو على الأصح الواو فى «اعبدوا» لأن الموتى لا يخاطبون ولا مصحوبا للضمير فى «خلقكم» لجواز العطف وهو أولى من المعية. ولو لا أن السنة حثت على طاعة أولى الأمر لقلت إن أولى الأمر مفعول معه فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (النساء ٥٩) أى وليطعه معكم أولو الأمر منكم، ولكن المعية هى المعنى المقصود فى قوله تعالى: ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ (يونس ٧١) ما دام الشركاء لا يكونون موضع إجماع فلا يعطفون على الأمر وإنما يكونون شركاء فى الإجماع فينصبون على المعية.

ويربط حرف الاستثناء بين المستثنى منه على سبيل إخراج المستثنى من حكم المستثنى منه ويربط الظرف بين ما أضيف إليه وبين متعلقه سواء أكان المضاف إليه مفرداً أم جملة كما فى قوله تعالى: ﴿ **فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ** ﴾ (البقرة١٩٨) إذ ربطت «عند» بين المشعر ومعنى الحدَث الذى فى «اذكروا» فجعلت الذكر فى جوار المشعر وكما فى قوله تعالى: ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ** ﴾ (الأنفال ٢٦) حيث ربطت «إذ» بين سبق القلة فى العدد وبين الذكر الذى هو جزء من معنى «اذكروا» وإنما ذكرت الظروف المضافة بين الروابط هنا لازدواج علاقتها فهى متعلقة بما قبلها مضافة إلى ما بعدها فلابد أن يكون موقعها موقع ربط ومالنا نذهب بعيدا ومن حروف الجر ما يفيد «الظرفية» ويربط فى الوقت نفسه بين المجرور والمتعلق كما رأينا من قبل.

ومن وسائل الربط المطابقة وإنما كانت وسيلة للربط لأن فى اشتراك العنصرين اللغويين فى محور واحد من محاورها نوعا من التصنيف يحمل فى طيه دعوى ضمنية بانتماء كليهما إلى صنف واحد وارتباط أحدهما بالآخر بواسطة هذه الشركة. والمقصود بالمحاور أن المطابقة إنما تكون فى أمور معينة دون غيرها وهذه الأمور معان نحوية عامة إذا تقاطع أحدهما مع الآخر كما تتقاطع مربعات الجدول نشأ من هذا التقاطع عنصر لغوى ما كالضمير وحروف المضارعة وعلامات التثنية والجمع وعلامات التأنيث والتعريف الخ. وتبدو صورة التقاطع على النحو التالى:

العدد / الشخص		مفرد		مثنى		جمع	
		مذكر	مؤنث	مذكر	مؤنث	مذكر	مؤنث
متكلم		أنا	أنا	نحن	نحن	نحن	نحن
مخاطب		أنتَ	أنتِ	أنتما	أنتما	أنتم	أنتن
غائب	معرفة	هو	هى	هما	هما	هم	هن
	نكرة	أسم ظاهر	اسم ظاهر	اسم ظاهر	اسم ظاهر	اسم ظاهر	اسم ظاهر

هذا ويعرف القارىء أين يضع حروف المضارعة وعلامات التثنية والجمع والتأنيث والتعريف فى هذا الجدول وفائدة هذه العلامات أن الاسم الظاهر وإن كان فى قوة ضمير الغائب يمكن أن يخبر به عن ضمائر التكلم والخطاب كما يخبر به عن الغيبة فى حالة الإفراد فإذا لحقت به العلامات المذكورة اتسع نطاق الإخبار به فشمل بقية الضمائر، أى أن الضمائر ثابتة الدلالة ولكن فى الاسم الظاهر مرونة بسبب ما يلحق به من هذه العلامات وفائدة هذه المرونة الوصول إلى المطابقة التى تعد وسيلة من وسائل الربط فى الكلام. دعنا نختبر قيمة المطابقة فى جملة مثل:

هذان الغلامان الذكيان يقرآن.

هناك مطابقة بين الإشارة والبدل والنعت فى التذكير والتثنية والرفع والتعريف

يضاف إلى ذلك ما بين النعت والمنعوت والمضارع من مطابقة فى الغيبة وبين فاعل المضارعة وكل ما تقدمه مطابقة فى التثنية أيضا فلما تحققت المطابقة فى جميع هذه النواحى اتضح انتماء كل من كلمات الجملة إلى أخواتها وأصبحت الجملة مفيدة بإحكام الربط.

انظر كيف يقوم الظاهر حين تلحقه العلامات بالوفاء بحاجات الضمائر من مختلف الأنواع من حيث المطابقة:

أنا قائم	أنتَ قائم	هو قائم
نحن قائمان	أنت قائمة	هى قائمة
نحن قائمون	أنتما قائمان	هما قائمان
	أنتما قائمتان	هما قائمتان
	أنتم قائمون	هم قائمون
	أنتن قائمات	هن قائمات

فإذا لم يلحق شىء من ذلك بالظاهر فهو فى قوة ضمير الغائب فقط، ويمكن لعلامة التعريف عندئذ أن تلحق كل ظاهر دون أن تغير فيه طابع الغيبة.

غير أن محاور المطابقة لا تعبر عنها الضمائر والعلامات اللاحقة بالكلمات فقط إذ

يمكن لأحد المحاور أن يكون نتيجة للمعنى المعجمى للكلمة وهو ما يسمى المعنى المفرد الذى يكشف عنه فى المعجم فالمعروف أن لفظ «عصبة» مثلا مفرد من الناحية النحوية إذ يثنى فتلحقه العلامة فيصير «عصبتان ويجمع فيصير «عُصَب» و«عصبات» ولكن هذا المفرد يدل بمعناهُ المعجمى على جماعة من الناس يصحب بعضهم بعضا ولكونهم جماعة جاز أن يخبر بلفظ عصبة عن ضمير المتكلمين فجاء «نحن عصبة» فى قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ (يوسف٨) وانظر كذلك إلى قيمة المطابقة بالمعنى المعجمى فى الآيات الكريمة الآتية:

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُون ﴾ (الشعراء ٥٤).

﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ (القصص ١٨).

﴿ مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ (يس ١٥).

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيل ﴾ (الأنفال ٢٦).

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾ (القمر ٤٤).

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (التغابن ١٥) المصدر لا يجمع بحسب الأصل ومن هنا صح الإخبار به عن الجمع.

وقد يصلح اللفظ للمطابقة باعتبارين: لفظه ومعناه كما فى قوله تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾ (القصص٧٨) فالضمير المفرد «هو» عاد على «من» باعتبار لفظها أما معناها فيشمل كثيرا من القرون الهالكة. وقد يصلح مذكوران سابقان لمطابقة اللفظ فيختار أحدهما كقول المتنبى:

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى كان يمكن أن يقول «أدبه» ليطابق «الذى» ولكنه قال «أدبى» ليطابق ضمير المتكلم «أنا» فأصبح الأسم الموصول زائدًا على مطالب النحو حتى إنه ليتم المعنى النحوى بدونه ولكن قيمته فى الكلام إيقاعية فحسب.